

التأويل النَّحويُّ - مفهومه وآلياته

د. ساسي امحمد ماتيطة

قسم اللغة العربية

كلية الآداب بالزاوية

بين يدي البحث

التأويل النحوي: سمة من سمات النحو العربي نتج عند استنباط القواعد من استقراء النصوص اللغوية التي تمكّن منها واضعو تلك القواعد، ونظرا إلى أنه من المحال اطلاعهم على كل كلام نطقت به العرب منذ ظهور اللغة العربية، ومن المحال اطلاعهم على كل كلام العرب في حواضرها وبواديها، وحرصا من أولئك العلماء الذين بذلوا جهودا مضيئة في سبيل استنباط قواعد النحو على اطراد تلك القواعد وحفظها من الخلل التي قد يعتريها في حالة ظهور نصّ عربيّ لا يتوافق مع تلك القواعد مما ألجأهم إلى تأويل تلك النصوص وإخضاعها إلى القواعد المطردة.

وربما ينتقد بعض الدارسين مسألة التأويل النحويّ، ويتخذ منها تهمة القصور العقلي لأولئك العلماء، ولكن ذلك ليس من الإنصاف؛ لأنه من المحال الإحاطة بكل اللغة العربية كما وكيفا، فلم يكن بدّ من استنباط قواعد من الكثير الشائع ومن ثم إخضاع غيره لتلك القواعد.

وهذا البحث يسلط الضوء على مسألة التأويل النحوي وآلياته التي اتبعتها النحاة ونظرا إلى أن كل آلية من تلك الآليات يمكن تخصيصها ببحث مستقل، فقد توخيت الإيجاز، واكتفيت بأمثلة قليلة تؤدي الغرض، وأشارت إلى المصادر لمن أراد التوسع في الموضوع.

وكان من بين الأهداف التي حرصتُ عليها خلال هذا البحث فتح المجال أمام الباحثين لتناول الموضوع بتوسع، مما يجعله يصلح لأن يكون موضوع رسالة علمية تُقدّم للحصول على درجة علمية. وإنني إذ أستلهم من الله التوفيق أعتذر عن أيّ قصور أو تقصير في البحث.

التأويل لغة: التدبير، والتقدير، والتفسير، جاء في القاموس المحيط " أوّل الكلام تأويلاً، وتأوّل: تدبّره، وقدره، وفسّره" (1) وهو مأل الأمر وعاقبته قال ابن منظور: " الأوّل: الرجوع. آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع، وألت عن الشيء: ارتددت " (2) وإذا جعلنا من معاني التأويل: التقدير والتدبير فلا شك أنهما أمران يدعوان إلى إعمال الفكر، والنظر في الجانب الخفي لأيّ أمر من الأمور، أما التفسير فهو يعني: توضيح الأمر المتشابه، وإبانته، سواء في ذلك جانبه الخفي، أو الظاهر.

وقد ورد لفظ التأويل في القرآن الكريم سبع عشرة مرة (3)، في سبع سور ويدور معناه فيما يتعلق:

أ - بالأمر الذي سيحدث في المال قال - تعالى - ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس 39] ، أي: ولما يأتيهم ما يترتب على تكذيبهم من عقاب.

ب - بتفسير الأمر المتشابه قال - تعالى - ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ (آل عمران: 7) وورد التأويل في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي دعا فيه لابن عباس - رضي الله عنهما - بقوله " اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل" (4)

التأويل النحوي - مفهومه - وآلياته

بمعنى: توضيح الأمر المشكل. وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - بعد قراءة الآية السابعة من سورة آل عمران المتقدمة: "أنا ممن يعلم تأويله" (5).

التأويل في اصطلاح النحاة:

مع أن النحاة استخدموا التأويل استخداما مكثفا، جعل منه آلية أصيلة في نظريتهم النحوية، إلا أنني لم أعتز لهم على تعريف له غير ما نسبه السيوطي لأبي حيان النحوي من قوله: " وإنما يسوغ التأويل إذا كانت الجادة على شيء ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول" (6)، ووضح أحد الباحثين المحدثين قول أبي حيان فقال: " إذا ورد عن العرب الأقدمين نص يصادم قاعدة نحوية، فإن النحاة يؤولونه بما يوافق قواعدهم النحوية " (7).

وعرّف الدكتور محمد عيد التأويل النحوي بقوله: " هو صرف الكلام عن ظاهره إلى وجوه خفية تحتاج إلى تقدير وتدبر " (8)، ولا شك أن المراد بالجادة المذكورة في كلام أبي حيان: القواعد النحوية التي استخلصها النحاة من استقراء كلام العرب فما خرج عن تلك القواعد يجب أن يُتأول، ويُصرّف عن ظاهره حتى يوافق تلك القواعد.

ويعطي أحد الباحثين المحدثين التأويل النحوي مفهوما موسعا فيجعله " الكيفية التي يعالج بها النحاة اللغة بوصفها نصا بالمعنى السيميوطيقي (9) ويعرفه بقوله: " جهاز مفاهيمي كبير، تتأسس عليه النظرية النحوية، بل النظريات اللغوية كلها " (10).

ومما تقدم يمكن القول: إن التأويل النحويّ يعني النظر فيما نقل من فصيح الكلام مخالفا للأقيسة، والقواعد المستنبطة من النصوص الصحيحة، والعمل على تخريجها، وتوجيهها، لتوافق بالملاطفة والرفق تلك الأقيسة، والقواعد على

ألا يؤدي ذلك التوجيه إلى تغيير القواعد، أو زعزعة صحتها، واطرادها (11) وهو ذاك الجهاز المفاهيمي الذي لجأ إليه النحاة أثناء فترة التقعيد النحوي بغية تنظيم اللغة، وتصنيف قواعدها (12)، ويضيف الدكتور علي أبي المكارم قوله: "إن التأويل النحوي يمتد مفهومه امتدادا مباشرا عن مدلوله اللغوي وحصره في الدلالة على العاقبة، والمآل، والتدبر، والتقدير" (13).

كيف عرف النحاة التأويل ؟

إن تداخل العلوم الإسلامية التي سُخِّرَ معظمها لخدمة القرآن الكريم أدي إلى اقتباس بعض المفاهيم والمصطلحات من بعضها إلى بعضها الآخر، وفي هذا الصدد وجدنا النحاة قد حذوا حذو الأصوليين في التعليل والتأويل، وليس معنى ذلك أنهم قلدوهم، وإنما اقتبسوا من أساليبهم في صياغة العلل والتأويلات فطبقوها في النحو، يدل على ذلك ما قرره ابن جني المتوفى سنة 392هـ من أن أصحابه من النحاة كانوا يغيرون على كتب بعض الفقهاء، يقتبسون منها العلل الفقهية، ثم يُسَخِّرُونها لتعليل النحو، قال ابن جني " وكذلك كتب محمد بن الحسن - رحمه الله - إنما ينتزع أصحابنا منها العلل ؛ لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه، فيُجمع بعضها إلى بعض بالملاطفة، والرفق " (14)، وما قيل عن التعليل يقال أيضا عن التأويل.

هل يحتاج النحو العربي إلى التأويل ؟

النحو العربي علم قام على دراسة النصوص الفصيحة لاستخلاص القواعد منها فكان من المفروض أنه لا يحتاج إلى التأويل، لأن الأحكام التي توصل إليها الدارسون مستنبطة من النصوص، لا مفروضة عليها، ولكن المؤكد أن النحاة لم يدرسوا كل ما قالته العرب قبل أن يضعوا قواعدهم، حيث آل

التأويل النحوي - مفهومه - وآلياته

الاستقراء الناقص إلى استنباط ناقص محوج إلى تأويل بعض النصوص، ولا يتحمل النحاة تبعية ذلك لأن كثيرا من النصوص هلكت بهلاك أصحابها⁽¹⁵⁾ يقول عمرو بن العلاء " ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاؤكم علم وشعر كثير"⁽¹⁶⁾.

يفهم مما تقدم أن النحاة درسوا نصوصا لا تمثل كل اللغة العربية، لذلك جاءت قواعدهم ناقصة الأمر الذي أحوجهم إلى التأويل ليردوا به بعض النصوص إلى القواعد المستنبطة من النصوص التي درسوها، ومع ذلك فإن التأويل إنما يلجأ إليه اضطرارا، يقول الأنباري " الألفاظ إذا أمكن حملها على ظاهرها فلا يجوز العدول بها عنه"⁽¹⁷⁾، ويقول أبو حيان: " متى أمكن حمل الشيء على ظاهره كان أولى، إذ العدول عن الظاهر إلى غير الظاهر إنما يكون لمرجح"⁽¹⁸⁾

آليات التأويل النحوي:

المراد بالآليات التأويل النحوي هي تلك الوسائل التي استخدمها النحاة في التأويل، وهي مجموعة من الظواهر المعروفة في كتب النحو تناقلها الخلف عن السلف، وجعلوا لها مصطلحات عرفت بها، وأهم تلك الآليات:

• التضمين

التضمين في اللغة: قال ابن فارس: الضاد والميم والنون أصل صحيح، وهو جعل الشيء في شيء يحويه، من ذلك قولهم: ضمّنت الشيء إذا جعلته في وعائه⁽¹⁹⁾

وفي جمهرة اللغة: "كل شيء جعلته وعاء لشيء، فقد ضمّنته إياه"⁽²⁰⁾.

التضمين في الاصطلاح: للتضمين في الاصطلاح تعريفات متعددة تدور كلها حول هذا المعنى، وهو إشراب معنى فعل لفعل، ليعامل معاملته أو هو: أن يحمل اللفظ معنى غير الذي يستحقه بغير آلة ظاهرة⁽²¹⁾، أو هو كما قال ابن هشام في المغنى: " قد يشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك تضمينا⁽²²⁾ وفائدته: أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين، فالكلمتان مقصودتان معا قصدا وتبعا فتارة يجعل المذكور أصلا والمحذوف حالا كما قيل في قوله - تعالى -

"ولتكبروا الله على ما هداكم" [البقرة 185]

كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم، وتارة يجعل المحذوف أصلا والمذكور حالا كما قيل في قوله - تعالى - **"والذين يؤمنون بما أنزل إليك"** [البقرة 4] أي يعترفون به.

والتضمين سماعي وليس قياسيا، ويُلجأ إليه عند الضرورة فقط⁽²³⁾ وظاهرة التضمين في النحو العربي واسعة كما قال ابن جني " ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئا كثيرا لا يكاد يُحاط به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجا كتابا ضخما "⁽²⁴⁾، واستحسنه ابن جني وقال: "إذا مرَّ بك شيء منه فتقبله وأنس به، فإنه فصل من العربية لطيف، حسن، يدعو إلى الأنس بها، والفقاهة فيها"⁽²⁵⁾، ونظرا إلى أن الغاية من بحثه هنا هي الاستدلال على وجود التأويل في النحو العربي فإنني أعرض أمثلة للتضمين من دون الغوص في أعماقه، وذكر كل ما قيل فيه.

أمثلة للتأويل النحوي بألية التضمين:

• تعديّة الفعل المتعدي بنفسه بأحد حروف الجر قال - تعالى - ﴿ لا يسمعون إلى الملاء الأعلى ﴾ [الصافات 8] فقد تضمّن الفعل "يسمعون" الذي يتعدى بنفسه معنى الفعل (يَصْنَعُونَ) فعُدّي بالي، وقد يحصل العكس أي تعديّة الفعل بنفسه، وهو في الأصل يتعدى بحرف جر، قال - تعالى - ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح ﴾ [البقرة 235] فقد تضمّن الفعل "تعزموا" وهو في الأصل يتعدى بحرف الجر (على) معنى الفعل (تنووا) فعُدّي بنفسه.

• وقد يتضمن الفعل المتعدي إلى واحد معنى فعل يتعدى إلى اثنين كما قالوا في قوله - تعالى ﴿ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ﴾ [آل عمران 115]، فقد تضمن الفعل "يكفروه" معنى (يُحْرَمُوهُ) فعُدّي إلى اثنين، والمعنى فلن يحرّموا ثوابه ومن أمثلة التضمين في الشعر قول الشاعر:

ممن حملن به وهنّ عواقدُ *** حُبك النّطاق فشَبَّ غير مُهَبَّل

حملت به في ليلة مزوّدة *** كرها، وعقد نطاقها لم يحلل (26)

والشاهد في البيتين تضمين الفعل (حمل) معنى (علق) فتعدى بحرف الجر (الباء) ولولا التضمين لتعدى بنفسه كما قال - تعالى - ﴿ حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً ﴾ [الأحقاف 15] (27) ومن التضمين في الاسم ما قيل في قوله - تعالى - ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقُّ ﴾ [الأعراف 105] حيث تضمن لفظ "حقيق" معنى (حريص) فتعدى بالحرف (على) ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه. (28) ومن التضمين في الحروف ما قيل في قوله - تعالى: ﴿ وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن ﴾ [يوسف 100] إذ المعنى: أحسن إليّ وتكاد كل الحروف أن تتضمن معنى بعضها بعضاً (29) تلك هي بعض الأمثلة

للتضمين الذي هو إحدى آليات التأويل النحوي، وقد تبين من خلالها كيف أن النحاة تأولوا النصوص عن طريق التضمين ليستقيم المعنى وفق ما يتطلبه السياق.

• الحمل على المعنى:

الحمل على المعنى ظاهرة عرفها النحاة من خلال نصوص اللغة التي استنبطوا منها القواعد، فجاء بها القرآن الكريم، وفصيح الكلام العربي يقول ابن جني " اعلم أن هذا الشرح غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، قد جاء به القرآن الكريم، وفصيح الكلام منثورا ومنظوما " (30) وتتمثل ظاهرة الحمل على المعنى في تأنيث المذكر وعكسه، وذكر الواحد والمراد به الجمع وعكسه وحمل المثني على الواحد ونحو ذلك مما سأذكره في الأمثلة قريبا، وتدخل هذه الظاهرة في باب التأويل النحوي لأن النحاة يؤولون النصوص بما يتناسب مع المذكور وفق السياق.

فمن تذكير ما حقه التأنيث ما قيل في قوله - تعالى - ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام 78] حيث ورد اسم الإشارة (هذا) الذي يشار به إلى المفرد المذكر مشار به إلى (الشمس) وهي مؤنثة، فتأول اللغويون ذلك بأن قالوا " المراد هذا الشخص أو هذا المرئي " ومثل ذلك ما قيل في قوله - تعالى - ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ [البقرة 275] حيث ترك تأنيث الفعل (جاء) المسند إلى (الموعظة) المؤنثة، فتأولوه على أن المعنى (الوعظ) لأن الموعظة والوعظ واحد ومن ذلك ما رواه الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه سمع رجلا من أهل اليمن يقول: " جاءته كتابي فاحتقرها، فقلت له: أتقول

التأويل النحوي - مفهومه - وآلياته

جاءته كتابي ؟ فقال: نعم أليس بصحيفة ؟" (31) ومن ذلك ما قيل في قول الشاعر:

وإن كلابا هذه عشر أبطن *** وأنت بريء من قبائلها العشر (32)
والشاعر أنث (أبطنا) حيث ترك التاء في العدد (عشر)، وتأوله النحاة بالحمل
على معنى قبائل.

ومثله قول عمر بن أبي ربيعة:

فكان نصيري دون من كنت أتقي *** ثلاث شخوص كاعبان ومعصر (33)
حيث أنث (الشخص) بإتيان لفظ العدد (ثلاث) من دون تاء، وأولوه بحمله على
معنى أنثى.

ومثل ذلك قول الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها *** ولا أرض أبقل إبقالها

حيث أسند الفعل (أبقل) الذي فاعله ضمير المفرد المذكر المستتر (هو)
إلى الأرض المؤنثة، فتأوله النحاة وقالوا: إن الشاعر قصد بالأرض المكان
والموضع فجاء بالضمير مفردا مذكرا مع أنه يعود على الأرض وهي مؤنثة (34)
وأما تأنيث المذكر فمن ذلك ما قيل في قول العرب " ما جاءت حاجتك " بفتح
تاء (حاجتك) وجعل الفاعل ضميرا مستترا يعود على (ما) فكان ينبغي ترك
تأنيث الفعل، ولكنهم تأولوا العبارة فقال: إن التأنيث جاء بسبب أن (ما) هي
الحاجة في المعنى، ومثله ما قيل في قول العرب " ذهببت بعض أصابعه " حيث
أسند الفعل مؤنثا إلى لفظ (بعض) المذكر، فتأولوه على أن بعض الأصابع تعني
(إصبعاً) وهي مؤنثة والأمثلة على ذلك كثيرة (35).

ومن الحمل على المعنى: ذكر الفرد والمراد الجمع، وهو شائع في كلام العرب قال سيويوه: " وليس بمستنكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحدا والمعنى جميع"⁽³⁶⁾ ومن أمثلته ما قيل في قول الله تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة 112] فقد أفرد الضمائر في (فله) و(أجره) و(ربه) و(هو) مراعاة للفظ (من)، وجمع في الباقي (عليهم) و(هم) والواو من (يحزنون)،⁽³⁷⁾ ومنه ما قيل في قول الشاعر ذي الرمة:

ومية أحسن الثقلين وجها *** وسالفة، وأحسنه قذالا⁽³⁸⁾

حيث أفرد الضمير في (أحسنه) وأراد به الجمع، ولو جمع فقال (وأحسنهم) لما طرأ على البيت شبيء.

وأما عكس ذلك (التعبير بالجمع والمراد ما دونه) والمراد بما دونه واحد أو اثنان فقد قال ابن فارس: باب الجمع يراد واحد أو اثنان، قال " ومن سنن العرب الإتيان بلفظ الجميع والمراد واحد أو اثنان، ومنه قوله - تعالى - ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور 2]، فقد عبّر القرآن بلفظ (طائفة) وهي تطلق على الواحد حتى الألف. ومن ذلك قوله - تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات 4] فقد عبّر بواو الجماعة والمنادي واحد، ومثله قوله - تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل35] فعبر بواو الجماعة والمرسل واحد بدليل قوله - تعالى - ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ..﴾[النمل 37]، ويكثر هذا الأسلوب في الأقوال الشبيهة بالأمثال كقولهم " شابت مفارقه"، فجمع (المفارق) والمراد مفرق واحد وقولهم: " رجل عظيم المناكب " فجمع المناكب والمراد اثنان، ويجيء كذلك

التأويل النحوي - مفهومه - وآلياته

في مخاطبة العظماء مثل قولك مخاطبا شخصا عظيما: أنتم تفضلتم عليّ بكذا ومثله قول المتكلم المفرد: نحن من وقر كتبنا للمكتبة⁽³⁹⁾

وقد يُعبر بالمتنى والمراد واحد كما كان يفعل بعض الشعراء في مطالع قصائدهم مستخدمين خطاب المتنى والمراد واحد، كقول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *** بسقط اللوى بين الدخول فحومل⁽⁴⁰⁾

• الحذف والتقدير:

من آليات التأويل النحوي: الحذف والتقدير، والحذف عند النحاة: "إسقاط بعض الصيغ الموجودة في النص، سواء بقي التركيب بعد الحذف على ما كان له من إعراب، أو تغيرت حركته لتناسب مع وضعه الإعرابي الجديد... ويتم بافتراض أبعاد في النص غير موجودة فيه"⁽⁴¹⁾، قال ابن هشام " والحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه: هو ما اقتضته الصناعة، وذلك بأن يجد خبرا بدون مبتدأ أو العكس، أو شرطا بدون جزاء، أو العكس، أو معطوفا بدون معطوف عليه، أو معمولا بدون عامل " ⁽⁴²⁾

أما التقدير: فيكون في الحركة الإعرابية، وسيجئ الكلام عليه، أو في الجملة وما فوقها، أو تقدير بعض أجزاء الجملة، وإذا كان تقدير الحركة الإعرابية لالعلاقة له بالحذف، فإن تقدير الجملة أو بعض أجزائها يلتقي مع الحذف والهدف من الحذف في أساليب النحو العربي كما يقول الدكتور علي أبوالمكارم " محاولة النحاة تصحيح النصوص التي يجب قبولها، والتي لا تفي في الوقت نفسه بما تفرضه القواعد من أحكام " ⁽⁴³⁾ وظاهرة الحذف والتقدير في النحو العربي واسعة وكتبت فيها رسائل علمية ⁽⁴⁴⁾ منها رسالة لنيل درجة الماجستير

للدكتور المرحوم إبراهيم عبد الله رفيده وهي مطبوعة عام 2002 ونشرتها كلية الدعوة الإسلامية.

وكتبت فيها أيضا أبحاث مستقلة، وما أذكره هنا نزر يسير لغرض بيان كونها آلية من آليات التأويل النحوي، والحذف في النحو العربي يشمل أنواع الكلمة الثلاثة الاسم والفعل والحرف، ويشمل كذلك حذف الجملة كاملة وهذه أمثلة لذلك:

أولا حذف الاسم:

1. حذف المبتدأ جوازا أو وجوبا في مواضع ذكرها النحاة، منها

حذفه جوازا في كل موضع دل على الحذف دليل كما في إعراب قوله - تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور1] فقد تأول النحاة مبتدأ محذوفا تقديره (هي)، وتأولوا مبتدأ محذوفا في إعراب قوله - تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ*فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ [الواقعة 27- 28] وقالوا إن التقدير: (هم) في سدر مخضود ونحو ذلك كثير. وقد يُحذف المبتدأ وجوبا في حالات دُكرت في كتب النحو، منها في حالات النعت المقطوع للمدح أو الذم أو الترحم كقولنا مثلا: أقدّر رجال العلم الفضلاء بالضم على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره (هم). وقولنا مثلا يؤسفني أن أرى المهجرَ المشردُ... بالضم على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره (هو)

ومنها: عندما يكون الخبر مخصوص نعم أو بئس كقولنا: نعم الكتاب القرآن، والتقدير (الممدوح القرآن)، وقولنا بئس العدو المنافق، والتقدير (المذموم المنافق) ونحو ذلك.

التأويل النحوي - مفهومه - وآلياته

ومنها: عندما يخبر بمصدر مرفوع جيء به بدلا من فعله كقولهم: سمع وطاعة، والتقدير: (أمري سمع وطاعة) ونحو ذلك.

ومنها: ما يقال في لا سيما محمداً بالرفع حيث تأولوا وجود مبتدأ محذوف وجوبا والتقدير (لاسيما المذكور محمد) ونحو ذلك.

2. وقد يحذف الخبر جوازا، أو وجوبا أيضا، فيحذف جوازا إذا دل عليه دليل مثل ما قيل في إعراب قوله - تعالى - ﴿ أَكَلَهَا دَائِمٌ وَظَلَمًا ﴾ [الرعد 35] والتقدير (وظلمها دائم) ونحو ذلك مما هو مبسوط في كتب النحو، ويحذف وجوبا أيضا في مواضع منها:

• خبر المبتدأ الذي بعد لولا كما قيل في إعراب قوله - تعالى - ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة 251] والتقدير ولولا دفع الله موجود، وهكذا.

• خبر القسم الصريح كقولهم: لعمرك لأفعلن، والتقدير (لعمرك قسمي) ونحو ذلك.

3. حذف الفاعل:

الفاعل جزء مهم في التركيب - حتى إن البصريين لا يُجوزون حذفه وكذلك نائبه، ويرون أن الفاعل مع الفعل كالكلمة الواحدة ولا يجوز حذف جزء من الكلمة.⁽⁴⁴⁾ ويرى بعض الكوفيين جواز حذفهما، ونتج عن هذا الخلاف تأويل بعض النصوص التي يبدو في ظاهرها حذف الفاعل فتأول البصريون مثلا قول الشاعر:

فإن كان لا يُرضيك حتى تردني ** إلى قطري لا إخالك راضيا⁽⁴⁴⁾

وقالوا إن التقدير: "فإن كان هو أي: ما نحن عليه من السلامة " (45) والذين قالوا بعدم جواز حذف الفاعل، استثنوا من ذلك مواضع منها :
أ. عند بناء الفعل للمجهول كقولك: قرئ الكتابُ والتقدير قرأ الطالب الكتاب.
ب. عند توكيد الفعل بالنون والفاعل واو جماعة، أو ياء مخاطبة، وجعلوا منه قوله - تعالى ﴿ وَلَا يَصِدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ [القصص 87] والتقدير: (ولا يصدونك بواو الجماعة إلا إنها حذفتم لما أُكِّد الفعل بالنون ، ومثله ما قيل في إعراب قوله - تعالى : ﴿ فَاِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾ [مريم 26] على القول بأن الياء الباقية هي لام الكلمة، وأما ياء الفاعل فهي المحذوفة (46).

4. حذف المفعول به:

يرى النحاة أن المفعول به فضلة في التركيب، يتم الكلام من دونه لذا يجوز حذفه، وذلك في غير باب ظن وأخواتها، بشرط ألا يترتب على حذفه ضرر فيجوز حذفه في نحو قول الله - تعالى: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام 149]، حيث حذف مفعول المشيئة، وقالوا في تأويله (فلو شاء هدايتكم) ومثله ما قيل في إعراب قوله - تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة 85] فقد تأولوه بقولهم: (لا تبصرون القرب، أو الأصل لا تبصرونا) (47) ونحو ذلك مما ذكر في كتب النحو.

5. حذف الاسم المؤكّد وبقاء التوكيد:

وقد أجازته الخليل وسيبويه، قال سيبويه " وسألت الخليل عن: مررت بزيد وأتاني أخوه أنفسهما، فقال: الرفع على: هما صاحباي أنفسهما " (48)، فقد رأيت كيف تأول الخليل النص بحذف المؤكّد، وقدره بقوله (هما صاحباي).

6. حذف الحال :

وجعلوا منه قوله - تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:185]،
وتأولوه بقولهم: (فمن شهد صحيحا بالغا).⁽⁵⁰⁾

7. حذف صاحب الحال:

وجعلوا منه قوله - تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَنْخُذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ
رَسُولًا﴾ [الفرقان 41] إذ تأولوه بقولهم: (أهذا الذي بعثه الله) فجعلوا ضمير
النصب المتصل الهاء صاحب الحال.

8. حذف التمييز:

مع أن التمييز يؤدي غرضا مهما في التركيب، ولكن إذا وجد الدليل على حذفه
حُذِفَ كما في قوله - تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (المدثر:30) - " عليها تسعة
عشر " [المدثر:30]، والتقدير (تسعة عشر ملكا) فحذف التمييز للدليل الذي دل
عليه في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ [المدثر 31]

9. حذف المستثنى:

جوَّزَ النحاة حذف المستثنى بعد (إلا) و(غير) من أدوات الاستثناء، قال الرضي
" واعلم أن المستثنى قد يحذف من إلا، وغير، الكائنتين بعد ليس فقط... تقول:
جاءني زيد ليس إلا، وليس غير " ⁽⁵¹⁾ والتقدير: ليس الجائي غيره.

10. حذف الصفة :

• الصفة في أسلوب النعت أهم من الموصوف لأنها جيء بها لغرض بيان
الموصوف، أو تخصيصه، ولكن النحاة تأولوا بعض النصوص على أساس
أن فيها صفة محذوفة فقالوا في إعراب قوله - تعالى: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ
غَصْبًا﴾ [الكهف 79]، وقالوا: إن التقدير: (يأخذ كل سفينة صالحة غصبا)

وفي قوله - تعالى - ﴿وكذب به قومك﴾ [الأنعام 66] قالوا: (التقدير وكذب به قومك المعاندون) (52)

• حذف الفعل:

كما جوّز النحاة حذف المبتدأ أو الخبر وهما الركنان الأساسيان في الجملة الاسمية جوزوا كذلك حذف الفعل وحده، أو حذفه مع معموله المضمّر وهما الركنان الأساسيان في الجملة الفعلية فمن ذلك:

1. حذف الفعل وحده، قال النحاة في إعراب قوله - تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان 25]: إن لفظ الجلالة (الله) فاعل لفعل محذوف مأخوذ من السياق والتقدير (ليقولن خلقهن الله) (53). وتأولوا قوله - تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة 6] فقالوا: إن لفظ (أحد) فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور والتقدير (وإن استجارك أحد..). والأمثلة على ذلك كثيرة

2. حذف الفعل مع فاعله المضمّر حيث تأول النحاة قول الله - تعالى - ﴿انتهوا خيرا لكم﴾ [النساء 71] فقالوا التقدير: (انتهوا وأتوا خيرا) (54).

• حذف الجملة كاملة:

جوّز النحاة أيضا حذف بعض الجمل إذا وجد ما يدل على المحذوف فأجازوا

1. حذف جملة القسم، وجعلوا من ذلك قول الله - تعالى - ﴿لأعذبته عذابا شديدا﴾ [النمل 21]، فتأولوا الحذف وقالوا: إن جملة (لأعذبته) جواب لقسم محذوف.

2. حذف جملة جواب القسم كما في قوله تعالى: " ق والقرآن المجيد " [ق 1] حيث تأولوا جواب قسم محذوف تقديره (لنهلكن).

3. حذف جملة الشرط كما في قوله: ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى 9] فقد تأولوا جملة شرط محذوفة تقديرها (إن أرادوا أولياء بحق فإله هو الولي).
4. حذف جملة جواب الشرط وجوبا كما في قوله - تعالى - ﴿ وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران 139] فقد تأولوا جواب شرط محذوفا وقالوا: إن المعنى (إن كنتم مؤمنين فلا تهنوا)
5. حذف جملة جواب الشرط جوازا كما في قوله - تعالى: ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ [التكاثر 6] وتأويل جملة جواب الشرط المحذوفة (لو تعلمون علم اليقين لارتدعتم وما ألهاكم التكاثر .
6. حذف أكثر من جملة وجعلوا من ذلك قول الله - تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ [يوسف 45] حيث تأولوا أكثر من جملة محذوفة وقدروها بقولهم (فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه، فأتاه وقال له: يوسفُ أيها الصديق).

• حذف الحرف:

تكاد كل الحروف يشملها الحذف غير أن حذف الحرف يختلف عن حذف الاسم والفعل حيث إن الأصل عدم جواز حذفه، نظرا إلى وضعه، وكيفية عمله، وعليه فإن حذف الحرف غير مقيس، يقول سيبويه " وزعم الخليل أن قولهم لاه أبوك، ولقيته أمس، إنما هو على: لله أبوك، ولقيته بالأمس، ولكنهم حذفوا الجار والألف واللام تخفيفا على اللسان، وليس كل جار يضم، لأن المجرور داخل في الجار، فصار عندهم بمنزلة حرف واحد، فمن ثم قبح، ولكنهم قد يضمرونه، ويحذفونه فيما كثر من كلامهم لأنهم إلى تخفيف ما

أكثرُوا استعماله أحوج " (54) وجاء في الخصائص قول ابن جني " أخبرنا أبو علي - رحمه الله - قال: قال أبو بكر: حذف الحرف ليس بالقياس. قال: وذلك أن الحروف إنما دخلت الكلام لضرب من الاختصار، فلو ذهبت تحذفها، لكنت مختصراً لها هي أيضاً، واختصار المختصر إجحاف به " (56).

ومن الحروف التي اعترأها الحذف:

1. حذف واو العطف وجعلوا منه قوله - تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [الغاشية8] وتأولوا المعنى فقالوا: (التقدير ووجوه يومئذ ناعمة) بالعطف على الآية الثانية من السورة " وجوه يومئذ خاشعة " .

2. حذف (قد) يرى البصريون أن الفعل الماضي الواقع حالاً لا بد له من (قد) ظاهرة أو مضمرة، ومن الإضمار قوله - تعالى: ﴿قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ﴾ [الشعراء 111]، والتقدير: (وقد اتبعك الأرذلون)

3. حذف لا النافية في جواب القسم المضارع كقوله - تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يَؤُسُفَ﴾ [يوسف 85] والتقدير (تالله لا تفتأ...)

4. حذف الجارّ وهذا يكثر مع (أَنَّ) و(أَنْ) وجعلوا منه قوله - تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ [الحجرات 17] والتقدير (بأن أسلموا)، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن 18] والتقدير: (ولأن المساجد..)

5. حذف لام الأمر وجعلوا منه قوله - تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [إبراهيم 14] والتقدير: (ليقيموا الصلاة).

وهكذا تجد النحاة يتأولون المحذوف بحسب السياق وقد تناول ابن هشام في كتابه مغني اللبيب موضوع الحذف بالتفصيل، فمن أراد التوسع في ذلك عليه الرجوع إلى الكتاب المذكور (56).

التأويل النحوي - مفهومه - وآلياته

وإذا كان الحذف من آليات التأويل النحوي فإن الزيادة أيضا جعلت كذلك من الآليات التي اتسم بها التأويل النحوي: الزيادة ، وهي في نظر النحاة تركز على أن النص اللغوي يشمل بالفعل صيغا زائدة من الناحية التركيبية وإن لم ينطبق عليها دائما وصف الزيادة من حيث أدائها المعاني (57).

والزيادة في الدرس اللغوي تمتد من البحث الصرفي إلى البحث النحوي حيث إن الزيادة في الصيغ والمفردات كآلف (كاتب) و(واو) (مكتوب ونحو ذلك مما يزداد من حروف) سألتمونها) في صيغ الأفعال والأسماء هو من شأن البحث الصرفي ولا علاقة لهذا البحث به.

أما الزيادة في التراكيب النحوية فمحل خلاف بين النحاة، فمنهم من يُقرُّه ومنهم من اعترض عليه (58).

ومهما يكن من أمر فإن الزيادة عند المُجيزين لها تفيد تأكيد المعنى وتقويته وتهدف إلى فصاحة الألفاظ وهي إحدى آليات التأويل النحوي ومن هذا المنطلق أذكرُ بعضا من أمثلتها لبيان كيفية التأويل فيها.

والزيادة تكون في الأسماء، والأفعال، والحروف وهذه أمثلة للنصوص التي أولها النحاة على أن فيها كلمات زائدة.

أولا الزيادة في الأسماء:

الزيادة في الأسماء لا يُقرُّها البصريون، ويجيزها الكوفيون يقول السيوطي "زيادة الأسماء لا تجوز عند البصريين، وكذلك زيادة الجمل، ثم إن الكوفيين يجيزون ذلك، وإنما يجيزونه حيث يظهر أن المعنى مفنقر إلي دعوى الزيادة" (59).

ومن أمثلة زيادة الاسم ما ورد في الحديث الشريف " خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول " (60) . حيث تأوله المُعربون على زيادة لفظ (ظهر) وقالوا: المعنى: خير الصدقة ما كان عن غنى، ونحو ذلك (61)

ثانياً الزيادة في الحروف

تكاد الزيادة أن تشمل كل الحروف على مختلف أنواعها - حروف الجر - حروف العطف - بعض الحروف الناصبة للفعل المضارع، والحرف (أل) وهذه بعض أمثلة لذلك:

• **زيادة الباء الجارة مع الفاعل وجعلوا من ذلك قول الله - تعالى - " وكفى بالله شهيدا " [الفتح 28] والمعنى:** (كفى الله شهيدا)، ومنه قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - " إذا دخلتم على المريض، فنفسوا له في أجله، فإن ذلك لا يرُدُّ شيئاً، ويطيب بنفسه " (62) . حيث تأولوا المعنى بزيادة الباء مع الفاعل وقالوا المعنى:

(ويطيب نفسه) (63)

• **زيادة الباء الجارة مع المبتدأ** مثل قولهم بحسبك درهم، حيث اعتبروا الباء زائدة، وحسب مبتدأ، قال سيبويه " قال الخليل - رحمه الله - يدلك على أن لا رجل في موضع اسم مبتدأ مرفوع، قولك: لارجل أفضل منك، كأنك قلت: زيد أفضل منك، ومثل ذلك بحسبك قول السوء، كأنك قلت: حسبك قول السوء. " (64)

• **زيادة الباء الجارة مع الخبر** وهذه الزيادة مقيسة مع خبر (ليس)، و(ما) مثل قولنا: ليس المؤمن بكذاب، وما الحق بخافٍ على أحد، والتقدير: ليس المؤمن كذاباً، وما الحق خافياً على أحد، يقول سيبويه " وقد تكون باء

الإضافة بمنزلتها في التوكيد، وذلك قولك: ما زيد بمنطلق، ولست بذهاب، أراد أن يكون مؤكدا حيث نفى الانطلاق، والذهاب " (65).

● **زيادة الباء الجارة مع المفعول به وجعلوا منه قوله - تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾** [مريم 25] وتأولوه على زيادة الباء والمعنى هزي إليك جذع النخلة، وبعضهم حملة على المعنى فجعل التقدير: هزي الثمرة بالجذع، أو هزي إليك رطبا جنيا كائنا بجذع النخلة (66).

● **زيادة اللام الجارة** إذا اعترضت بين الفعل المتعدي ومفعوله، بشرطين الأول كون العامل متعديا إلى واحد، والثاني أن يكون العامل ضعيفا وجعلوا منه قول الله - تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف 43] فقد تقدم المفعول (الرؤيا) على عامله (تعبرون) فضعف، فزيدت اللام فيه لتقويته والتقدير (تعبرون الرؤيا).

● **زيادة (عن) الجارة**، وجعلوا منه قول الله - تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور 63]، فقد اعتبر أبو عبيدة (عن) زائدة، وتأول الآية فقال " مجازه: يخالفون أمره سواه، وعن زائدة " (67).

● **زيادة (من) الجارة**، قال سيبويه: " وقد تدخل في موضع لو لم تدخل فيه كان الكلام مستقيما، ولكنها توكيد بمنزلة ما، ولكنها تجرُ لأنها حرف إضافة" (68) هذا واشتراط النحاة لزيادة (من) شروطا ثلاثة: الأول: أن يكون مجرورها نكرة والثاني: أن تسبق بنفي أو نهي أو استفهام، والثالث أن يكون مجرورها إمّا فاعلا وإمّا مفعولا، وقد اجتمعت تلك الشروط في قوله - تعالى - " ما يأتيهم من دُكر " [الأنبياء 2] حيث أعربوا (ذكر) فاعلا ومن زائدة. ومثله قوله

تعالى: "هل من خالق غير الله" [فاطر3] حيث أعربوا (خالق) مبتدأ و(من) زائدة وقوله - تعالى: ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ [مريم98] فقد اعتبروا من زائدة وأعربوا (أحد) مفعولا به.⁽⁶⁹⁾

• زيادة (أل)

وجعلوا منه قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - " ..ثم قَدِمَ الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار" ⁽⁷⁰⁾. وإنما اعتبروا (أل) زائدة لأن ألف مضاف إلى دينار والإضافة لا تلتقي بـ(أل)، هذه القاعدة النحوية هي التي دفعت النحاة إلى التأويل واعتبار (أل) زائدة.

• زيادة (أن)

وجعلوا منه قوله - تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾ [يوسف 96] والمعنى على حذف (أن)، (فلما جاء البشير).

• زيادة (ما) بين الجار والمجرور

وجعلوا منه قوله - تعالى - ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾ [النساء155] حيث اعتبروا (ما) زائدة، ومنهم من اعتبرها نكرة تامة، ولكن ابن الأنباري علق على ذلك بقوله " وليس بشيء، لأن إدخال ما، وإخراجها واحد، وإذا كان دخولها كخروجها فالأولى أن تكون حرفا زائدا على ما ذهب إليه الأكترون"⁽⁷¹⁾.

مما تقدم تبين أن النحاة - حرصا منهم على صحة القواعد التي استنبطوها - تأولوا ما خالفها ولو كان ذلك نصوصا من القرآن الكريم الذي يُعد أفصح كلام على الإطلاق، فرأيتهم قدروا ألفاظا ليست مذكورة في النص، وزادوا ألفاظا

التأويل النحوي - مفهومه - وآلياته

هي مذكورة في النص، وتؤدي معنى، كل ذلك من أجل اطراد القواعد، وحتى لا يحصل خلل في منظومة قواعدهم النحوية.

• التقديم والتأخير:

تعدُّ ظاهرة التقديم والتأخير في النحو العربي من أهم الظواهر، وأكثرها شيوعاً وتتسع لتشمل تقديم ما رتبته التأخير جوازا ووجوباً، وتأخير ما رتبته التقديم جوازا ووجوباً، بسبب اطراد القواعد النحوية، ويكون كل ذلك مقياساً، أو من باب الضرورة، يقول ابن جني في الخصائص " فصل في التقديم والتأخير وذلك على ضربين: أحدهما ما يقبله القياس، والآخر ما يسهله الاضطرار"⁽⁷²⁾ ولكن أكثر ما يهم التأويل النحوي هي تلك النصوص التي وردت مخالفة للقياس، يقول علي أبو المكارم عن ظاهرة التقديم والتأخير: إنها "تهدف إلى تمكين القواعد النحوية المقننة للترتيب، بتخريج ما يختلف معها تخريجاً ينفي عنها التناقض، ويبعد عن نصوصها الاضطراب"⁽⁷³⁾ والقواعد النحوية تحتم أحيانا تقديم ألفاظ وتأخير أخرى فإذا وردت نصوص مخالفة لتلك القاعدة تأولوها، ففي

1. أسلوب الشرط مثلاً يجب أن تتقدم أداة الشرط لتأثيرها في الجملة بعدها ومن النصوص التي خالفت تلك القاعدة قول زهير بن مسعود:

فلم أرقه إن ينج منها وإن يمت *** فطعنة لا عس ولا بمغمّر⁽⁷⁴⁾

والشاهد في البيت تأخر أداة الشرط (إن) عن الجواب (فلم أرقه) وهنا كان لا بد من التأويل فقال النحاة: أراد الشاعر إن ينج منها فلم أرقه.⁽⁷⁵⁾

2. أوجب النحاة العرب تقديم الموصوف على صفته ولكن وردت بعض النصوص مخالفة لتلك القاعدة، فكان لا بد من تأويلها منها قول الشاعر:

فقدُ والشكُّ بيّن لي عَنَاء *** بوشك فراقهم صُرْدٌ يصيح⁽⁷⁶⁾

والشاهد في البيت تقديم (بوشك فراقهم) على متعلق الصفة (يصيح)، فما كان من النحاة إلا تأويله وقالوا: إن الشاعر أراد (فقد بيّن لي صُرْدٌ يصيح بوشك فراقهم والشك عناء)⁽⁷⁷⁾.

ذاتك أنموذجان لآلية التأويل النحوي من ظاهرة التقديم والتأخير ذكرتهما لأستدل بهما على وجود تلك الظاهرة في النحو العربي، وأنها إحدى آليات التأويل النحوي ومن أراد التوسع في الموضوع يجد ذلك كثيرا في مصادر النحو المتعددة.

• الفصل والاعتراض

المراد بظاهرة الفصل والاعتراض "وجود صيغة أو أكثر بين جزئي التركيب اللغوي أو أجزائه التي يتحتم تواليها، وتعاقبها دون فاصل بينها... وتهدف إلى إفادة الكلام تقوية وتسديدا وتحسنا" ⁽⁷⁸⁾ وقد عقد ابن جني في كتابه الخصائص بابا وقال " إن هذا القبيل من هذا العلم كثير، قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جار عند العرب مجرى التأكيد، فلذلك لا يشنع عليهم، ولا يستنكر عندهم" ⁽⁷⁹⁾ وأمثله كثيرة، أذكر بعضها منها موضحا كيف تأولها النحاة للاستدلال على وجود الظاهرة في التراث النحوي وأنها إحدى آليات التأويل:

1. الفصل بين الفعل وفاعله وعدّه ابن جني من الفصل القبيح ⁽⁸⁰⁾ وإن استحسّن بعضه، ومما استحسّنه قول الشاعر:

مُعاويَ لم تُرْع الأمانة - فارْعَهَا *** وكن حافظا لله والدين - شاكرُ ⁽⁸¹⁾

التأويل النحوي - مفهومه - وآلياته

والشاهد في البيت: الفصل بين الفعل (تَرَع) وفاعله (شاكِر) التي هي اسم قبيلة بعدة ألفاظ، والنحاة يتأولون البيت، ويقولون إن الشاعر أراد مخاطبة معاوية بأن (شاكِر) لم ترع الأمانة فارعاها أنت، وكن حافظا لله والدين وقد استحسّن ابن جني هذا الفصل، وجعله من الحسن الجميل الذي أفاد التسديد (82).

2/ الفصل بين المبتدأ والخبر وأمثله كثيرة منها قول معن بن أوس:

وفيهن - والأيام بعثرن بالفتى - *** نوابد لا يمللنه ونوائح (83)

والشاهد في البيت الفصل بين المبتدأ (نوابد) والمتأخر وبين خبره متعلق الجار والمجرور (فيهن)، وتأويله: وفيهن نوابد لا يمللنه ونوائح والأيام بعثرن بالفتى.

3/ الفصل بين المضاف والمضاف إليه، وجعلوا منه قول الفرزدق:

فلماً للصلاة دعا المنادي *** نهضت وكنت منها في غرور (84)

حيث جعلت (لماً) اسماً بمعنى حين وأضيفت إلى جملة (دعا المنادي) ولكن الشاعر فصل بينهما بالجار والمجرور (للصلاة)، وتأويل البيت: حين دعا المنادي للصلاة نهضت... إلخ.

4/ الفصل بين الشرط وجوابه، وجعلوا منه قوله - تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل 101]، حيث فصل بين جملة الشرط (وإذا بدلنا) وجملة الجواب (قالوا إنما أنت مفتر) بقوله (والله أعلم بما ينزل) وتأويل معنى الآية: وإذا بدلنا آية مكان آية قالوا إنما أنت مفتر والله أعلم بما ينزل (85).

تلك بعض أمثلة للفصل، والاعتراض، ذكرتها للاستدلال على وجودها في النحو العربي وكونها إحدى آليات التأويل النحوي.

• من آليات التأويل النحوي: التقدير

هذا ويدخل في باب التأويل النحوي تقدير حركة الإعراب، ولا شك أن لحركة الإعراب دورا مهما في تحديد الدلالة، وأن المعنى له دور مهم أيضا في تحديد نوع الحركة، ففي قولنا: كتب الطالب الدرس نجد ضبط (الطالب) بالضم أكد أنه الفاعل، وضبط الدرس بالفتح أكد أنه المفعول، وأن المعنى يحتم ذلك الضبط ولكن ليست كل الحركات يمكنها الظهور على آخر الكلمة، فمن المعلوم أن ثمة أسبابا تمنع ظهور حركة الإعراب لذلك كان التقدير الذي هو آلية من آليات التأويل النحوي، ويمكن القول: إن بعض التراكيب التي بها ألفاظ تعرب بالحركة المقدره قد توجد بها قرائن أخرى تحدد دلالتها فمثلا لو قلت: خطب عيسى ليلي فإن الإعراب التقديري لا يؤثر في الدلالة حيث وضح أن عيسى هو الفاعل المرفوع بضمه مقدره لأنه هو من أسند إليه فعل الخطبة ، وأن ليلي هي المفعول المنصوب بفتحة مقدره لأنها من وقعت عليها الخطبة. ولكنك لو قلت مثلا: ما أحلى ليلي، فإن المعنى مبهم ولا يتضح إلا بتقدير حركة الإعراب، فإن قدرت الفتحة على الكلمتين (أحلى – ليلي) يصير المعنى تعجبا (ما أحلى ليلي!) تعجب من حلاوتها. وإذا قدرت ضمة على (أحلى)، وكسرة على (ليلى) يصير المعنى استفهاما (ما أحلى ليلي؟) أي شيء جعلها حلوة. وإذا قدره فتحة على (أحلى) وضمة على (ليلى) فإن المعنى قد يكون نفيا، حيث تنفي حلاوتها ويحتمل أن يكون استفهاما.

هذا النوع من التقدير هو الذي يُعدُّ آلية من آليات التأويل النحوي باعتبار

نوع المعنى المطلوب الذي تؤول له الحركة المناسبة، والله أعلم.

التأويل النحوي - مفهومه - وآلياته

وفي ختام هذا البحث، تجدر الإشارة إلى أنني لم أذكر المناظرة التي جرت بين سيبويه والكسائي المعروفة عند النحاة بالمسألة الزنبورية بما فيها من تأويلات متعددة لجأ إليها النحاة بسبب حرصهم على سلامة القواعد التي استنبطوها، وذلك لشهرتها وأنه من الميسور الرجوع إليها في كتب النحو للاطلاع.

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنني اختصرت بعض الموضوعات اختصارا غير مغل لأن الغاية من البحث التلميح إلى وجود تلك الظواهر، وليس الاستقصاء.

فإن كنت قد وفقت فمن الله وحده التوفيق، وإن كانت الأخرى فمن نفسي لأن الإنسان من طبعه الخطأ والنسيان.

الهوامش:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم
1. القاموس المحيط مادة آل 341/3
 2. لسان العرب مادة آل.
 3. ورد لفظ التأويل في سورة آل عمران مرتين، وفي سورة النساء مرة واحدة، وفي سورة الأعراف مرتين، وفي سورة يونس مرة واحدة وفي سورة يوسف ثماني مرات، وفي سورة الإسراء مرة واحدة وفي سورة الكهف مرتين انظر هداية الرحمن لألفاظ وآبيات القرآن مادة آل.
 4. الحديث في البداية والنهاية 296./8
 5. أصول النحو العربي / محمد عيد / 186.
 6. الاقتراح للسيوطي 113.
 7. التأويل بين البصريين والكوفيين / محمد سالم جدو موقع صحراء ميديا شبكة المعلومات الدولية
 8. المصدر السابق.
 9. د. نصر حامد أبو زيد 87.
 10. موقع ستار تايمز أرشيف لغة عربية. شبكة المعلومات الدولية
 11. انظر: أصول التفكير النحوي 261.
 12. المصدر السابق.
 13. أثر التأويل النحوي في فهم النص بحث للأستاذ: غازي مختار، منشور بمجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية العدد 15 سنة 1998 م
 14. المصدر السابق.

التأويل النحوي - مفهومه - وآلياته

15. الخصائص 163/1.
16. طبقات اللغويين والنحويين 24.
17. الإنصاف في مسائل الخلاف 70/1.
18. تفسير البحر المحيط لأبي حيان 258/2.
19. معجم مقاييس اللغة 372/3.
20. جمهر اللغة مادة ضمن.
21. كتاب الكليات 266/1.
22. مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام 262/2.
23. انظر النحو الوافي لعباس حسن بحث في التضمين 522/2.
24. الخصائص 2 / 310.
25. المصدر السابق.
26. البيتان لأبي كبير الهذلي انظر: ديوان الهذليين 92/2 ومغني اللبيب 764/2، ومعنى مزوودة: خائفة مذعورة، وعاقدة حيك نطاقها استعدادا للهرب.
27. انظر: مغني اللبيب 764/2.
28. انظر: النحو الوافي (بحث في التضمين) 527/2.
29. انظر: مغني اللبيب قسم الأدوات.
30. الخصائص 411/2، والإنصاف في مسائل الخلاف 772/2.
31. الخصائص 412/2.
32. المصدر السابق 414/2.
33. انظر: ديوانه 126 وانظر كتاب سيبويه 565/3.

34. انظر: الخصائص 410/2 والبيت لعامر بن جوين الطائي انظر: خزنة الأدب للبغدادى 21/1، والكتاب 240/1، والخصائص 411/2.
35. الخصائص 415/2.
36. الكتاب 409/1.
37. انظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري 166/1.
38. انظر: ديوان الشاعر 436، والخصائص 419/2.
39. انظر: أصول التفكير النحوي 354.
40. انظر: ديوان الشاعر 4.
41. أصول التفكير النحوي 282.
42. مغني اللبيب 742/2.
43. أصول التفكير النحوي، 282.
44. البيت لسوار بن المضرب انظر: شرح التصريح 272/1، والمقاصد النحوية 451/2
45. شرح الأشموني 45/1.
46. انظر: في إعراب الآيات جميعها التبيان في إعراب القرآن للعكبري، كل آية في موقعها
47. مغني اللبيب 704/2.
48. الكتاب 247/1.
49. انظر: الخصائص 378/2.
50. شرح الرضي على الكافية 248/1.
51. انظر: الحذف في الأساليب العربية للدكتور إبراهيم رفيدة 145،

التأويل النحوي - مفهومه - وآلياته

52. انظر: مغني اللبيب 724/2.
53. انظر: في كل ما سبق المصدر السابق 718/2 – 724.
54. الكتاب 294/1.
55. الخصائص 273/2.
56. مغني اللبيب 706/2.
57. انظر: أصول التفكير النحوي 284.
58. المصدر السابق 308 وما بعدها.
59. الأشباه والنظائر في اللغة للسيوطي 98/4، وانظر: التأويل النحوي في كتب إعراب الحديث 294.
60. فتح الباري كتاب الزكاة 376/3.
61. انظر التأويل النحوي في كتب إعراب الحديث 284.
62. سنن الترمذي كتاب الطب 412/4.
63. انظر: التأويل 282.
64. الكتاب 293/2.
65. المصدر السابق 225/4.
66. انظر: التبيان في إعراب القرآن للعكبري 871/2.
67. مجاز القرآن لأبي عبيدة 69.
68. الكتاب 225/4.
69. شرح التصريح للأزهري 9/2.
70. فتح الباري كتاب الكفالة 592/4.
71. انظر: التبيان 403/1، وانظر: الإنصاف 523/2.

72. الخصائص 382/2.
73. أصول التفكير النحوي 335.
74. انظر: في البيت ديوان الشاعر، والنوادر 70.
75. انظر: أصول التفكير النحوي 446.
76. ذكره البغدادي في شرح شواهد المغني 965/1، وانظر: الخصائص 330/1.
77. انظر: كتاب نصره الإغريض في نصره القريض للمظفر العلوي 467.
78. أصول التفكير النحوي 338.
79. الخصائص 335/1.
80. انظر: المصدر السابق 390/2.
81. المصدر السابق 330/1 و304.
82. المصدر السابق 330/1.
83. مغني اللبيب 433/2.
84. انظر: الخصائص 390/2.
85. أنظر: المصدر السابق.